

## التشاؤم لدى أبي القاسم الشابي

سردار أصلائي<sup>١</sup>، نرجس كنجي<sup>٢</sup>، زهراء رجائي<sup>٣</sup>

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان

٢. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان

٣. ماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة إصفهان

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٣/٤/٢٢؛ تاريخ القبول: ١٤٣٣/٨/١٥)

### ملخص المقال

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن التشاؤم لدى أبي القاسم الشابي ١٩٣٤-١٩٠٩ صاحب ديوان «أغاني الحياة». الظاهرة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعوامل الفردية والداخلية - الفكرية والعقلية - والعوامل الخارجية - الاجتماعية والسياسية - في حياته كما يهدف البحث إلى محاولة التعرف على التشاؤم لغوياً واصطلاحياً. مما يلاحظ أن التشاؤم جاء عند الشابي شديد نسبي في أشعار تدل على نظرتة إلى الحياة والدنيا والقضاء والقدر مشيرة إلى تأثير الرومانسية على نفسه وشعوره بالألم والغربة واعتقاده بالجبر. لكن إطلاق اصطلاح المتشائم على الشابي خارج عن الإنصاف العلمي نسبياً لأنّ شابي شاعر ذي شخصية انفعالية وشعره مرآة تنعكس عليها حياته بصورة أكثر شفافية وكيف لا تشعر الحزن ولا تتشائم نفس أغرقت في الآلام النفسية والاجتماعية.

### الكلمات الرئيسية

أبو القاسم الشابي، التشاؤم، الحياة، الموت.

## مقدمة

حياة الإنسان محفوفة بالبلايا والآلام وحينما تثقل عليه الشدائد والمحن يرى نفسه في ضيق وذنك وظلمة وينسب أحزانه ومصائبه إلى الدنيا ويميل إلى رؤية تشاؤمية في حياته والشاعر المتشائم هو الذي نجد شعره صوراً لمعاناته حيث يرى كل شيء أسود وكأنما تستولي عليه الظلمة وتحول نظرتة إلى الحياة والموت والدنيا وإنهما من المواضيع التي هيمنت على شعر الشعراء المتشائمين فإنهم في حالة الحزن والكآبة يلجأون إلى الموت ويجدون سفينه النجاة ويتشائمون بالحياة والدنيا وما فيها.

من جملة هؤلاء، أبو القاسم الشابي شاعر الاكثاب التونسي في العصر الحديث الذي عانته الآلام، وصدته عن المعالي والطموحات التي كان يتمناها وجعلته متشائماً في فترة من الزمن. حيث لا يرى بحساسية قلبه إلا شقاء أيامه وأيام الآخرين ويتفجر الألم من قلبه ويتبرم من الحياة والدنيا والقضاء والقدر. شعره يصور شعوره ويعكس ما يدور في خاطره من التشاؤم.

تشاؤم الشابي لفت أنظار الدارسين والنقاد حيث نجد أن عمر فروخ يلقي الضوء على أطوار تشاؤم الشابي كما أن إيليا الحاوي يشير إلى بعض آثار تشاؤمه. والمقالة هذه محاولة متواضعة بطريقة وصفية تحليلية تجليات تشاؤم هذا الشاعر البارع في شعره، وإشارة مشيرة إلى أبعاده وأسبابه بقدر المستطاع ونريد أن نجيب إلى هذه الأسئلة: ما هو التشاؤم؟ وكيف كانت هذه الظاهرة لدى أبي القاسم الشابي؟ وما هي الأسباب التي دفعته أن يكون متشائماً؟

## ما هو التشاؤم؟

التشاؤم هو حالة عاطفية يعكس نظرة الشاعر السلبية تجاه الحياة بشكل عام أو مرحلة عابدة من حياته ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين: التشاؤم المطلق والنسبي، والتشاؤم الروحي والاجتماعي والآخر يعني تبرم الأديب من الاجتماع وأنباء نوعه.

يتعرض الشاعر في حياته للثنائيات المتضادة كالأمل واليأس، الخير والشر، الضياء والظلام، السرور والحزن... يكون أحياناً متشائماً تجاه الكون سواء كان الوجود أو البداية أو النهاية أو الهدف أو النتيجة ويراه قائماً على أساس الشر والسوء، حيث يحكمه في هذه الحالة التشاؤم المطلق؛ لأنه يفقد أمله ويعيش عيشة السوء ويشعر بالفشل وتستولي الظلمة على حياته ونفسه ولا يرى جمالها، ولكنه في بعض الأحيان ينظر بتشاؤم إلى الدنيا والحياة نتيجة لبعض الأسباب

الطارئة والمحن والشدائد.

«والتشاؤم حالة يأس وقنوط من الحياة. ولا يقوم تشاؤم الرجل العادي عادة أو تفاؤله على أسس نظرية ولا على مذهب فلسفي، ولكن على أحوال نفسانية عارضة في حياته العلمية العامة والخاصة. ويكون الإنسان متأثراً، في حاله من التشاؤم والتفاؤل بما يوافق حياته من فقر وغنى، ومن صحة أو سقم، ومن نجاح أو خيبة. ولزاج الإنسان أثر كبير في توجيهه نحو التشاؤم أو التفاؤل» (فروخ، ١٩٤٨، ص ٥٥).

### نبذة عن حياة الشابي

ولد أبو القاسم الشابي في مارس ١٩٠٩م في بلدة الشابية بتونس وكانت نقطة التحول في حياة الشاعر موت حبيبته وهي مازالت شابة، ثم تبعه بعد ذلك الموت وأختطف أبوه، فتسبب هذان الحادثان في اعتلال صحته وأصيب بانتفاخ في القلب فأدى ذلك لموته وهو قليل السن في عام ١٩٣٤م بتونس.

### تشاؤم الشابي

لا خلاف في أن الشابي كان كئيب النفس فقد قال عن نفسه: «إنني في كثير من الأحيان تطغى على نفسي كآبة الملل المبهم فأصدفت عن الكتب والناس ويوصد قلبي عن جمال الوجود» (فروخ، ١٩٧٤، ص ١١٩).

يقول شوبنهاور الألماني: «أمام تجربة الألم في الحياة لا يوجد سوى طريقتين للتخلص منها: الزهد والاندماج في حالة من التصوف العميق، وأما الفن: أن تغرق أحزانك في الفن وترتفع بهذه الأحزان عن طريق الفن الذي يساعد الإنسان إلى الوصول للقوة المعنوية الكاملة، والإحساس الشفاف الذي لا يتأثر بمصائب الدنيا» (النقاش، ١٩٧١، ص ٧١).

قد وقع الشابي في «تجربة الألم» حتى قرارها البعيد، واختار الطريق الثاني، اختار الفن الذي عصر فيه قلبه الغض، وكان مأواه الروحي الدائم كلما صارعه الألم هو أن يكتب شعراً، أو يكتب أغنيات حب لشعره.

فالشابي شاعر صادق، وروح النعمة شائعة في أشعاره وهي عمادها، والتشاؤم طالع حياته وخاتمها وهو مصدر حياته. (كرو، ١٩٩٤، ج ٣، ص ٦٤)

تشاؤمه هو تشاؤم (سكاليزي) أملته الأقدار وهو كان متبرماً بالحياة، شقيماً فيها كما كان سكاليزي، وكان متبرماً بالدنيا شقيماً فيها كما كان المعري وأصحابه. (كرو، ١٩٩٤، ج٣، ص٦٨)

### أطوار تشاؤمه

يتبع محمد الحليوي تشاؤم صديقه ثم يحاول أن يجعل ذلك التشاؤم أدواراً فيقول: كل من تتبع آثار أبي القاسم الشابي، عن قرب أو عن بعد، يعرف أنه من الشعراء المتشائمين. وقد مرّ تشاؤمه في ثلاثة أطوار:

١. الطور الأول: «طور التشاؤم القاتم وهو تشاؤم مطلق تجاه الدنيا والحياة والكون وكان الشابي في أثناء هذا الطور ينحو نحو جبران وينكب على مطالعة «لزوميات» المعري. ويختار الحليوي أحياناً من شعر الشابي تمثل هذا الطور المتقدم من التشاؤم عنده» (كرو، ١٩٩٤، ج٣، ص٥٢). منها:

لَمْ أَجِدْ فِي الْحَيَاةِ لَحْنًا بَدِيعًا	يَسْتَبِينِي سِوَى سَكِينَةِ نَفْسِي
نَاوَلْتَنِي الْحَيَاةُ كَأَسَاءَ دِهَاقًا	بِالْأَمَانِي، فَمَا تَنَاوَلْتُ كَأَسِي؟
إِنْ فِي رَوْضَةِ الْحَيَاةِ لِأَشْوَاكًا	بِهَا مَرَّقَتْ زَنَابِقُ نَفْسِي

(الشابي، ١٩٩٥، ص٩٧)

يتكلم الشاعر عن يأسه من الحياة ويقول زالت الأمانى وأقامت المرارة وتمزقت الشدائد والمحن، زنابق نفسي ولذلك لم أجد سكينه في الحياة.

٢. الطور الثاني: أما تشاؤم الشابي في الطور الثاني فكان تشاؤماً مصحوباً بالتعليل وهو تشاؤم نسبي، كما يرى محمد الحليوي، مع شيء من التساؤل القاتم على الحيرة والقلق ما نحن؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ من أين جئنا وإلى أين نذهب؟

يقول الشاعر في قصيدة «الأشواق التائهة»:

يَا صَمِيمَ الْحَيَاةِ! إِنَّي فَرَوْدٌ	ضَائِعٌ، ظَامِئٌ، فَأَيْنَ رَحِيقُكَ؟
يَا صَمِيمَ الْحَيَاةِ! قَدْ وَجَمَ النَّأْيُ	وَعَامٌ <sup>٢</sup> الْفَضَا فَأَيْنَ بُرُوقُكَ؟

١. وجم: سكت.

٢. الرحيق: خمرة.

٢. غام السماء: غطأها الغيم.

يا صَمِيمَ الحِياةِ! أينَ أغانيك!

فَتَحَّتْ النُّجُومَ يُصْغِي مَشْوَكَ

(الشابي، ١٩٩٥، ص١١٢)

يبدو لنا أن الشابي يتساءل ويبحث عن الصباح المشرق ويعتقد ليس ما بعد الحيرة إلا اليقين وما بعد الكآبة إلا البهجة وما بعد الظلمة إلا الصباح ويجمع بين ألوان اليأس واحتقار الوجود والتصوف.

٣. الطور الثالث: وفي الطور الثالث من أطوار تشاؤمه فيتبدد فيه شيء من غيوم الكآبة عن عيني الشابي وتشرق في ظلمات حياته ومضات من الأمل. ويعزو الحليوي هذا التبدل إلى اصطيف الشابي في عين دراهم، في عام ١٩٣٢م، لما فيها من المناظر الجميلة ثم لأثر شعر لامارتين في عقله الباطني. (كرو، ١٩٩٤، ج٣، ص٥٥)

### علل تشاؤمه

لتشاؤم الشابي أسباب نرى من الضروري إلقاء النظرة على هذه العوامل ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ. العوامل الداخلية، الفكرية والعقلية.

ب: العوامل الخارجية، الاجتماعية والسياسية.

### العوامل الداخلية

ينبغي دراسة نظرة الشاعر إلى عدد من المواضيع الخاصة:

١. الاعتقاد بالجبر: لقد كان الشابي شديد الإحساس بسطوة القدر وسلطانه على هذا الوجود ونجد هذا الإحساس في قصائده القديمة أو الحديثة وقصيدته «شكوى ضائعة» هي من القصائد التي قد تحدث فيها عن غلبة القدر وانتصاره على الحياة وعلى كل الأحياء. يعاني الشاعر من القدر وأسرارها فيهاجم عليه ويقول:

قد كَبَلُ القَدْرِ الضَّارِي فَرَأْسَهُ	فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ دَفْعاً، لَا حَزَرُوا
وَحَاطَ أَعْيُنَهُمْ، كِي لَا تَشَاهِدَهُ	فَمَا لَهُمْ أَبَدًا مِنْ بَطْشِهِ وَزُرُّ
وَحَاطَهُمْ بِفُنُونٍ مِنْ حَبَائِلِهِ	عَيْنٌ، فَتَعَلَّمُ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ
لَا المَوْتُ يُنْقِذُهُمْ مِنْ هَوْلِ صَوْلَتِهِ	وَلَا الحِياةُ تُسَاوِي النَّاسَ وَالْحَجَرُ

(الشابي، ١٩٩٥، ص٨١)

يرسم الشابي القدر وينسب إليه شقاءه ويرى كل ما يعاني في أيام حياته فعل القضاء ويقول لا يستطيع الناس أن يتقنوا من هوله وليس الموت والحياة ملجأ لهم. هذه الأبيات تدل على سوء ظنه بالقضاء والقدر.

يقول الشاعر عن نفسه: «إن القدر هاته السنة لا يريد أن يسلك معي إلا مسلك المعاكسة والعناد، وكيف يكون، يا صديقي، حال من يتعمد القدر معاكسته؟» (فروخ، ١٩٧٤، ص ١١٩).

٢. لعنته على الدنيا والكون: إن الشابي بسبب خيبة أمله والشقاوة التي أصيب بها يلعن على هذه الدنيا فيقول:

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا الكَرِيهَةُ؟ وَيَلِّهَا!  
حَقَّتْ عَلَيْهَا لَعْنَةُ الأَحْقَابِ  
الكَوْنُ مُصْغٌ، يَا كَوَاكِبُ، خَاشِعٌ  
طَالَ أَنْتَظَرِي، فَانْطِقِي بِجَوَابِ!  
(الشابي، ١٩٩٥، ص ٣٦)

«الدنيا في نظر الشابي صراع بين الحياة والقوة، والغلبة فيه للإرادة الصلبة، فمن صبر نال، ومن أراد حصل على ما ابتغى. يقول:

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الحَيَاةَ  
فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدْرَ  
(الشابي، ١٩٩٥، ص ٧٠)

والأرض، في نظر الشابي، عامرة بالاثم والشر، والناس عليها جماعة كذب وتدجيل، يتمجدون والمجد منهم براء؛ لأن المجد ابتسامات الزمان عند انغلاق جميع الأبواب» (الفاخوري، ١٩٩١، ص ٧١٥-٧١٦).

مَا كَلَّ فِعْلٌ يُجِلُّ النَّاسَ فَاعِلُهُ  
مَجْدًا، فَإِنَّ الوَرَى فِي رَأْيِهِمْ خَطَلُ  
فَفِي التَّمَا جُدِّ تَمْوِيَةٍ وَشَعْوَدَةٍ  
وَفِي الحَقِيقَةِ مَا لَا يُدْرِكُ الدَّجَلُ  
مَا المَجْدُ إِلَّا ابْتِسَامَاتٌ يَفِيضُ بِهَا  
فَمُ الزَّمَانُ، إِذَا مَا انْسَدَّتْ الحَيْلُ  
(الشابي، ١٩٩٥، ص ١٢٠)

فالشابي ينظر إلى الناس نظرة ازدراء - رغم أنه يريد لهم الخير والرفق والسعادة - يزدري فيهم التخاذل والتمويه.

بلغ ذروة تشاؤمه حينما يصف الكون فيقول:

الكَوْنُ كَوْنٌ شَقَاءٌ  
الكَوْنُ كَوْنٌ التَّبَاسُ

الكَّوْنُ كَوْنٌ اخْتَلَقَ  
وَضَجَّةٌ واخْتَلَسَ  
سَيَّانٌ عِنْدِي فِيهِ  
السُّرُورُ، والابْتِئَاسُ

(الشابي، ١٩٩٥، ص ٩١)

لو كان هذا الكون في قبضتي  
ألقيته في النار، نار الجحيم  
ما هذه الدنيا، وهذا الوري  
وذلك الأفق، وتلك النجوم؟

(الشابي، ١٩٩٥، ص ١٢٠)

بذلك يشير الشابي إلى الكون وينسب إليه كل الشقاء والشر بسبب كثرة الالتباس والاختلاس والضجة ويقول في هذا الكون المحضوف بالبلايا لا أجد فرقا بين السرور والحزن.

٣. شعوره بالغربة: «إن أبناء جيل الشابي من الشعراء والأدباء والذين كانوا يسيطرون تقريباً على الحياة الأدبية في الوطن العربي كانوا يعيشون على المفهوم القديم للشعر ويحافظونه محافظة حراسة عنيفة، وكانت الموضوعات القديمة من مدح وهجاء وثناء وتهنئة هي المادة الشعرية الأساسية، وكانت هذه المدرسة تمجد الماضي الأدبي ولا تجد فيه عيباً أو ضعفاً بل تجد العيب والضعف في الخروج على هذه التقاليد والثورة عليها، وكذلك كان ظهور الشابي خطراً على هذه المدرسة وعلى أنصارها؛ لأنه ابرز مخالفته فهاجمه كثيرون في بلده، وحاولوا أن يعزلوه عن جماهير القراء ويشككوا في قيمة الشعرية وقد نجحوا في الوصول إلى أهدافهم وكان نجاحهم سبباً من أسباب اكتئاب الشاعر وحزنه وإحساسه بالغربة في وطنه» (النقاش، ١٩٧١، ص ٢٧).

فانه أحس أبناء شعبه لا يسمعون نداءه إلى الحيوية ومقاومة الظلم السائد في المجتمع ويقول في جزء من مذكراته قبل وفاته: «أشعر أنني غريب في هذا الوجود، وأنني أزداد يوماً في هذا العالم إلا وأزداد غربة بين أبناء الحياة وشعوراً بمعاني هاته الغربة الأليمة، غربة من يطوف مجاهل الأرض ويجوب أقاصي المجهول ثم يأتي ليحدث قومه عن رحلاته البعيدة فلا يجد واحداً منهم يفهم من لغة نفسه شيئاً».

ثم يصرخ في صوت منخفض ولكنه مليء بالألم: «الآن أدركت أنني غريب بين أبناء بلادي... وتلك مأساة قلبي الدامية» (النقاش، ١٩٧١، ص ٢٨).

ربما خيل للشابي في وقت من الأوقات أنه يفني حياته عبثاً، وأنه يحترق من أجل الآخرين دون أن يتلقى منهم الاستجابة المشجعة، بل إنهم ربما أنكروه، وإنه ليحزن لذلك أشد الحزن،

ويألم غاية الألم. وقد كان هذا الإنكار حرياً أن يصرفه عن طريقه، ولكنه مع ذلك لم يكن يملك إلا أن يستمر وأن يجدد المحاولة. ويمعنون في ذلك الامهان فيصيبه اليأس أحياناً، ويتوقع داخل شرنقة روحه، ويجتر آلامه وأحزانه، ثم يفضي بها بين الحين والحين. وهنا يبرز أمامنا وجه جديد من وجوه تجربة الشابي، يلتقي فيه مع كثير من الشعراء الرومانسيين، ونعني بذلك الشعور بالغبرة.

والشعور بالغبرة شعور حزين يورث صاحبه الكآبة وإن اجتمعت له كل أسباب اللهو والتسلي؛ ولهذا وجدنا الشابي وقد استبد به الحزن والأسى وقد قال بما معناه في إحدى قصائده: أن الحياة مهما أقبلت بما يثير الضحك وينفس عن القلب فإن الكآبة تظل دائماً وأبداً مخيمة بنفسه. ويرتبط بشعور الغربة عند الشابي وينشأ عنه شعور بالملالة والسأم وذلك حيث تصبح الحياة على - رحابها وتنوعها وثرائها - مجرد صورة مكررة وأشكال معادة. وهذه الملالة، وهذا السأم إنما يتولدان في نفس الفنان عندما تقفر الحياة الاجتماعية من التجارب الجديدة المثيرة، ويستبد العرف والتقاليد البالية بسلوك الناس وعلاقتهم ببعضهم البعض، عند ذلك يشعر الفنان أنه إنما يعيش في سجن.

٤. تشككه في وجود الله: علمنا أن الشابي قد أصابه المرض مبكراً، وتحمل أعباء الحياة بعد موت والده، لعدم التجائه على الله في محنته، إنما تبرم وتسخط الأقدار، وغاص قلبه في الاكتئاب والتشاؤم، كل هذا دفعه إلى أن ينشد أشعاراً تدل على تشككه في وجود الله. «لما أفاق الشابي من النوبة الشديدة التي انتابه، عام ١٩٣٠م، نظم قصيدته "إلى الله" فشطح فيها شطحة هي الإلحاد» (فروخ، ١٩٧٤، ص ١٢٩). قال:

خَبَّرُونِي، هَلْ لِلوَرَى مِنْ إِلَهٍ	راحمٍ - مثل زَعَمَهُمْ - أوَاه!
إِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي هَاتِهِ الدُّنْيَا	فَهَلْ خَلَّفَ أَفْقَهَا مِنْ إِلَهٍ؟

(الشابي، ١٩٩٥، ص ١٨٠)

يصور الشاعر أزمة نفسية من تلك الأزمان الحادة التي يشعر فيها المرء وتحت تأثير تلك الحالة النفسية الجامحة نظم قصيدته موجهاً فيها الخطاب إلى الله الذي أنزله إلى ظلمة هذه الأرض ورماه في سبيل الدنيا ثم جعله على لجة الحزن فأقام كارهاً للحياة وما فيها وتعذبه الدنيا ولقد أنزله الله إلى الدنيا وعذبه فيها بكل الدواهي من أسى ووحشة وبأس وشقاء.

ثم يدرك الشابي المزلق الخطر الذي وضع قدمه عليه، قبل أن يرتدّ نفسه، عن البيت الثاني فيقول بعد مباشرة:

مَا الَّذِي قَدَّ أَتَيْتَ، يَا قَلْبِي الْبَاكِي  
وَمَاذَا قَدَّ قُلْتَهُ، يَا شِفَاهِي؟  
يَا إِلَهِي، قَدَّ أَنْطَقَ الْهَمُّ قَلْبِي  
بِالَّذِي كَانَ، فَاعْتَفِرْ، يَا إِلَهِي!  
(الشابي، ١٩٩٥، ص ١٨٠)

وبذلك إن الشابي يستغفر من الله ويظهر ندامته بسبب ما قاله.

٥. ثورته على الدين: «إذا نحن تأملنا بيئة الشابي العامة في تونس ثم بيئته الخاصة - فهو ابن قاض شرعي وخريج الجامعة الزيتونية - عجبنا لفقدان الأثر الإسلامي في ديوانه، ثم نزيد تعجباً إذا رأينا الأثر الوثني شديد البروز في شعره.

إن أول ما نلاحظه أن الألفاظ الدينية قد خسرت في شعر الشابي قدسيته ودلالاتها المألوفة، فالله والصلاة والجحيم أصبحت عند. كلمات عامة كسائر الألفاظ المعجمية الدائرة في الاستعمال اليومي. من ذلك كله قوله: لتعس الورى شاء الإله وجودهم، صانكن الإله من ظلمة الروح، وتشدو كما شاء وحي الإله، فالنور ظل الإله» (فروخ، ١٩٧٤، ص ١٢٦). ومثل ذلك قوله:

أيهَا اللَّيْلُ! يَا أَبَا الْبَوْسِ وَالْهَوِ  
لِي، وَيَا هَيْكَلِ الزَّمَانِ الرَّهَيْبِ!  
فِيكَ تَجَنُّوْ عَرَائِسُ الْأَمَلِ الْعَذِ  
بِ تَصَلِّي بِصَوْتِهَا الْمَحْبُوبِ  
(الشابي، ١٩٩٥، ص ٢٩)

وأشد إيفالاً في الانحراف من الوحدانية الإسلامية ما نجد في قصيدته «صلوات في هيكل الحب» يخاطب محبوبته وقيمها مقام الألوهية في القدس والعبادة والقدرة والإرادة، وفي الشفاعة والزلفى:

أَنْتِ أَنْشُدُودَةَ الْأُنَاشِيدِ غَنَّاكَ  
أَنْتِ قُدْسِي، وَمُعْبَدِي، وَصَبَاحِي،  
يَا ابْنَةَ النُّورِ، إِنَّنِي أَنَا وَحْدِي  
فَدْعِينِي أَعِيشُ فِي ظِلِّكَ الْعَذِ  
وَارْحَمِينِي، فَقَدْ تَهَدَّمْتُ فِي كَوِ  
وَحَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَسْحَقِي أَمَّ  
إِلَهُ الْغِنَاءِ رَبُّ الْقَصِيدِ  
وَرَبِّعِي، وَنَشَّوْتِي، وَخُلُودِي  
مَنْ رَأَى فِيكَ رُوعَةَ الْمَعْبُودِ  
وَفِي قَرَبِ حُسْنِكَ الْمَشْهُودِ  
نَ مِنْ الْيَأْسِ وَالظَّلَامِ مُشِيدِ  
سَالِ نَفْسِي تَصَبُّوْ لِعَيْشِ رَغِيدِ

فالإله العظيم لا يرجمُ العبدَ إذا كان في جلال السُّجودِ

(الشابي، ١٩٩٥، ص ٦١-٦٣)

يتحدث الشابي عن محبوبته ويعتبرها سبب نشوته وخلوده ويريد أن يعيش في ظلها حتى يخرج من عالم حزنه وحينما يرسم محبوبته ويجعل حبيبته في مقام الإله نشعر بحضور الإله في شعره وخشوع العبد أمام المعبود.

يشير إلى رجال الدين ويقول:

مليء الدهر بالخُداء، فكم قد ضلّ الناس من إمام وقسّ

(الشابي، ١٩٩٥، ص ٩٧)

فالدهر مملوء بالخُداء والنفاق وطالما انخدع الناس لرجال يتوسمون فيهم الخير والكمال وهم رجال الدين ثم تظهر التجارب أنهم من أخط أصناف الرجال.

٦. نظرة إلى الحياة: امتاز الشابي بوضوح الشخصية وظهورها في شعره ومن كمال شخصيته نظرته في الحياة التي تسجم مع مقوماتها وحينما نتناول أشعاره في الحياة ونزعتها إليها أو رغبته عنها فتبين لنا شدة تشاؤمه وحزنه في هذه الدنيا.

«حزن الشابي الذي ظهر في القصائد الأولى يعود إلى المرحلة التي كان يعيش الشاعر في عالم من الأحلام ويتجه إلى العكوف على الذات ويستجيب إلى الخيال والآمال الطويلة التي لا سبيل إلى تحقيقها في دنيا الواقع والرومانسية - بصفة عامة - فترة من فترات الحياة الإنسانية وهو أقرب إلى أرواح المراهقين، بما يحيط بها من غموض محبب، وكآبة لذيذة، وخيال وقاد. قد استجاب الشاعر لمشاعر هذه المرحلة من حياته، فرأى الحياة معركة تهجم عليه بكل شدائد ومحنه فعبّر عن الكآبة التي ملأت حياته في قصيدته «أيها الليل» وفي بعض مقاطعها يذكر العوامل التي صنعت كآبة كل أديب وغرست في نفسه الإيمان بأن الحياة أنشودة الحزن» (التليسي، ١٩٧٤، ص ٢١٢).

صاح إن الحياة أنشودة الحزن  
إن كأس الحياة ممتعة بالد  
أنت تدري أن الحياة قُطو  
كن كما شاءت السماء كئيبا  
فرتل على الحياة نُجيبني  
مع فأسكب على الصُباح صبيبي  
بّ وخطوب، فما حياة القُطوب؟  
أي شيء يسُرُّ نفس الأريب؟

أم قلوبٌ محطّاتٌ على سَآ  
 حِلُّ لُجِّ الأَسَى، بِمَوجِ الخُطوبِ؟  
 إنما الناسُ في الحياة طَيُّورٌ  
 قد رَمَاهَا القَضَا بِوَادٍ رَهيبِ  
 (الشابي، ١٩٩٥، ص ٢١)

الخوف من شقاء الحياة أصيل في شعر الشابي وهو يستمر في هذه الأبيات على توضيح نظرة إليها ويجعل الحياة ليست إلا عبارة عن أنشودة للحزن وليس في وجوها غير الظلام والخطوب والدموع وأن كأس الحياة مملوءة بالدم ويقول إذا كانت الحياة ليست إلا عبارة عن القلوب فما هي قيمتها؟

فشخصية الشابي شخصية انفعالية ومن هنا تخضع نظراتها في الحياة إلى اللحظات التي تواجهها، فإذا تنتهي هذه اللحظات إلى الحزن والكآبة فإن الحياة ظلمة حالكة عنده؛ وإذا تشجّع على التمرد والتجدد والطموح، فهي موكب فخيم عند الشاعر يسير في طريق المجد والعزة ويرشده في طريق الكرامة.

صورة الحياة عند الشابي مرت بمرحلتين:

مرحلة ما قبل وفاة والده ومعرفته بمرضه، ففي هذه المرحلة كانت صورة «الحياة» عند الشابي مشرقة ومتفائلة، وكان مشدوداً إليها، ونلمس بوضوح صورة الحياة لديه.

مرحلة ما بعد وفاة والده، ففي هذه المرحلة انقلبت صورة «الحياة» عند الشابي، رأساً على عقب، فلم يعد يرى الحياة إلا بلون اسود قائم، ويغلب عليه التشاؤم.

يسمي الشابي الكآبة حيناً، السآمة، يتضجر بها من الحياة:

سَئِمْتُ الحِياةَ وَمَا في الحِياةِ  
 سَئِمْتُ اللِّيالِي، وَأَوْجَاعِهَا  
 وَمَا شَعَّشَعْتُ مِنْ رَحيقِ بَصَابِ  
 فَأَيْنَ الأَمَانِي وَأَحلامُهَا  
 وَأَيْنَ الكَؤُوسِ وَأَيْنَ الشَّرَابِ  
 فما العيشُ في حومةِ بأسِها  
 شَديدٌ وصَدَّأَها لا يَجابُ

(الشابي، ١٩٩٥، ص ٢٧)

إن الشابي كثيراً ما يرسم شقاوة الأيام وما أصابه فيها من الآلام التي لم تبق له أثراً من الفرح والسرور ثم يتبرّم بالحياة وينظر إليها بهذه المرأة السوداء القاتمة، ويمعن في سوادها وقبحها، ويشكو من الليالي وأوجاعها ويتحسر على ضياع الأمانى وينكر الحياة في هذا الدار

التي بأسها شديد ويبقى كئيباً منفرداً بحمل آماله.

فالشاعر يذكر سخطه بها ويصف الألم والمصيبة التي يواجه الناس فيها، يقول:

يَا صَاحِ! إِنْ الْحَيَاةَ قَفَّرٌ	مُرَوِّعٌ، مَآؤُهُ سَـرَابٌ
لَا يَجْتَنِّي مَنْبُوهُ إِلَّا	عَوَاطِفَ الشُّوْكَ وَالتُّرَابِ
وَأَسْعِدُ النَّاسِ فِيهِ أَعْمَى	لَا يَبْصُرُ الْهَوْلَ وَالْمُصَابِ
وَلَا يَرَى أَنْفُسَ الْبَرَائِيَا	تَذُوبُ فِي وَقْدَةِ الْعَذَابِ

(الشابي، ١٩٩٥، ص١٢٦)

تضجر الشابي من الحياة بارز حيث يقول أسعد الناس من لا يرى مصائب هذه الدنيا. يخاطب قلبه الذي احلولكت آفاته ولم تهتف فيه إلا أوتار الأسى ولم يترنم به إلا معزف الشكوى. «إن الانفصام أو الانشقاق الجوهرى في تجربته يكون عن نزعتين متنازعتين في نفسه. أولاً نزعة الفرح بالوجود والثانية نزعة تشاؤمية عدمية تعود إلى أسارير الشاعر وتتقبض أضلاعه وفي هذه النزعة يعتقد لا خلاص للإنسان بذاته ولا بالآخرين، وأن الموت يتهدده ويتوعده والموت، الحقيقة الباقية والحتمية الفعلية، لا يقدر الإنسان أن ينتصر عليه. وأن الحياة والموت هما قطبا التنازع في تجربته، يتوهم حيناً، أن الحياة جديدة أن تعاش، وأنها تبذل الجمال في جوانب الطبيعة وتمنح الحب، ذلك الطيف الروحاني الشفاف الذي لا جسد له ولا وجه، ويرشد الإنسان إلى الكمال.

وحيناً آخر ينظر إلى الحياة فيتوهم أن الحياة ليست سوى سيرورة إلى الموت وأن الموت هو المنتصر الأكبر فيهجم على الأحياء ويهدم أحلامهم وأشواقهم ويستقر العدم الرابع. فتجربته وجدانية ووجودية وكأنه حيناً يقاوم أمام المحن والشدائد وحيناً آخر كأنه مخذول ترتفع على رأسه أعلام الهزيمة والحداد» (الحاوي، ١٩٧٢، ص٢٠٨-٢٠٩).

إذا تركنا تشاؤم الشابي وأثر ذلك التشاؤم في شعره رأينا أنه يتساءل في مواقف كثيرة من ديوانه عن قيمة الحياة، وقيمة العقل ويعتقد أن الله هو الذي أراد للناس التعاسة لأنه خلق الجهل وخلق الفهم وهذا المزيج المضطرب من الآراء وتلك الحيرة أمام الحياة وأمام الوجود نراهما في قصائد الشابي الأولى كما نراهما في قصائده المتأخرة وحينما تمر الأحداث بالشابي عاصفة وحينما يصيب بالمصائب يزيد تشاؤمه وقلقه وتزيد حيرته؛ لأنه يرى أن

الحياة صراع يداس فيه الضعيف، فإنه لا يحيل أن يكون في الحياة شيء من الرفق حيناً بعد حين. ولا يستعبد أن نرى نفحات تهبّ على الشاعر من لزوميات المعري.

إن الشابي لا يقف أمام مظاهر الحياة فقط بل هو يحكم على الناس بالبور، وعلى الحياة نفسها بقلة الجدوى، وبأن الله هو الذي أزد الشقاء لعباده.

٧. نظرته إلى الموت: فكرة الفناء والموت والعدم تلاحق الشاعر وتغلب عليه. عند إلقاء النظرة على آثار الشابي نرى أنه كان يكتب عن الموت كثيراً ولم يغفل عن فكرة الموت والشعور به أبداً ويعبّر عنه تعبيراً فنياً عميقاً فمسألة الموت تشغله بسبب أزمته الخاصة التي أصيب بها وإنه كان يشعر بأن الموت يزحف إلى حياته ويحاول أن يقضي عليها وسبب آخر من أسباب اهتمامه بمسألة الموت يتمثل في الحالة الراكدة التي كان يعيش فيها شعبه. في هذا الجو الذي ليست الحياة عنده إلا يقظة الشعور ويقظة العقل كان الموت يواجه الشابي في كل مكان. وعندما ينظر في نفسه فيجد الموت يهاجم على قلبه وحينما ينظر إلى تجاربه فيجد حبيبته الأولى قد ماتت ثم يجد أباه أيضاً قد مات وتركه وسط العواصف ووجد الموت أيضاً ينشر على المجتمع كله، فالمرأة محجوبة ومسجونة في سجن اسمه البيت، والحرية السياسية احتلتها الفرنسيون والباي وليس أثر من الحرية الفكرية بسبب التقاليد الفكرية العتيقة. (النقاش، ١٩٧١، ص ٦٠)

فكرة الموت عند أبي القاسم الشابي لم تجيء بصورة واحدة، بل كانت حيناً استسلاماً وحيناً آخر تمرداً وكان الشاعر يشناق إلى الموت، ويناديه بحرارة لكي يريحه من الحياة ثم يتمرد عليه ومثل هذه النقائص نجدها لديه في غير فكرة الموت. (الناعوري، ١٩٩٦، ص ٦٨)

فالشابي أحب الموت وشغف به فيقول:

هو الموت طيف الخلود الجميـ	ل، ونصف الحياة الذي لا يئوح
هنالك... خلف الفضاء البعيد،	يعيش المنون القوي الصبوح
يضمُّ القلوب إلى صدره،	ليأسوا ما مضىها من جروح
ويبعث فيها ربيع الحياة	ويبهجها بالصباح الفروح

(الشابي، ١٩٩٥، ص ٥٦)

١. مض: أحزن.

٢. فدم: الغليظ الأحمق الجافي.

يرسم الشاعر الموت ويعتبره دواء لكل الجروح ومعبّر إلى عالم الروح.

٨. الرومانسية: يُعدّ الشابي من الشعراء الرومانسيين، وليست الرومانسية وقفاً على عصر أو أمة أو مجتمع أو فئة في مجتمع، وإنما هي تيار شعري -فكري، ينساق فيه أفراد ذو أمزجة خاصة في مرحلة معينة من مراحل التطور الاجتماعي، ويسوقون فيه من حولهم، إلى أن يعم وينتشر. فكل من يأبى الإذعان للعقل، حين يقتضيه التضحية بعواطفه، إنما يستجيب في ذلك لنزعة رومانسية أصيلة، وكل من يتمرد على القيود الاجتماعية، ويهوى العزلة، ويمجد الحب، وينشد عنف الأهواء، ويستسيغ الكآبة، ويمقت الواقع، ويفرح بالأحلام، يكون في حقيقة أمره، رومانسيّ الاتجاه.

كان الشابي مهياً بطبيعة شخصيته أن يكون رومانسياً، لما يمتاز به من قوة في الإحساس، وحدة في العاطفة، ومن الثورة والتمرد على كل ما هو مألوف ومتداول. (عدنان، ١٩٩٦، ص٣٢٩)

إنّ التعلق بالحزن والتلذذ بالألم، واعتباره فلسفة تطهر النفس، ونشر الإحساس بالكآبة والشكوى من الواقع والتقاليد الاجتماعية، والقلق المستمر المتجذر في مواجهة الحياة كان من أهم ميزات أدب الرومانسيين فإنهم كانوا يتمنون الموت في أسعد لحظات حياتهم لشعورهم بأن هذه السعادة لا تدوم، مما صبغ روحهم وأديبهم بالتشاؤم الفرنسي وقد تمثلت هذه صورة الرومانسية في أجلى مظاهرها، وأقوى اندفاعاتها، في سيرة أبي القاسم الشابي.

«قد أكد الشعراء الفرنسيون الرومانسيون في التعبير عن ذواتهم، وعن فلسفة الألم التي انطوى عليها جوانحهم، وقد عارضها بعض النقاد في أوروبا، وأخذوا على أصحابها إسرافهم في التشاؤم والنحيب والتغني بالألم والفناء والأطلال والتبرم بالحياة، ألم يقل شاعر رومانسي: أنني أحب الألم البشري؟ والم يقل شاعر آخر: المرء طفل معلمه الألم، ولا شيء يسمو بنا إلى العظمة كما يسمو الألم؟» (خفاجي، دون تا، ج٢، ص٢١).

«تجري معظم خواطر الشابي على التغني بكآبته وسويدائه وسوء ظنه بأقدار الحياة ونوايا البشر على غرار الرومنسيين، تبلغ تجربته فيها أوجها عندما يواجه الموت، قانطاً، حيناً وفرحاً حيناً آخر كأنه يعاني فيه الحرية الأخيرة» (الحاوي، ١٩٧٢، ص٩٨).

## العوامل الخارجية

تعرض الشابي للكثير من المحن التي أثرت على حياته وجعلتها كئيب النفس فالضربات المؤلمة والقاسية التي تعرض لها كانت كثيرة وفي مجالات مختلفة سواء عاطفية أو اجتماعية أو حتى شخصية، نشير إلى بعضها:

١. مرضه: كآبة الشابي وتشاؤمه راجعة إلى مرضه في درجة الأولى وإلى ما أعقب هذا المرض من حرمان الشابي من التمتع بالحياة تمتعاً عادياً مألوفاً ومثل ذلك رأي الدكتور محمد فريد غازي الذي يرى أن مرض الشابي لم يكن ذا تأثير على نفسيته فقط بل على شعره أيضاً.

«إنه أصيب قبل العشرين بمرض التضخم في القلب، وظل يعاني من هذا المرض ويحاول أن يعالجه باستمرار، ويوقف آلامه الشديدة التي كانت تملأ حياته بالعذاب والأسى وقد صبغ هذا المرض بالحزن لأنه كان يقاومه وهو يعلم أنه أقوى من العلاج وكان يكتنم آلامه في نفسه ليعبر عنها في شعره. هذا المرض هو عنصر المأساة الخاصة عاش فيها الشابي وأثرت في شعره تأثيراً كبيراً» (النقاش، ١٩٧١، ص ١٩).

٢. وفاة والده: كانت وفاة والده صدمة كبيرة بالنسبة للشاعر، لأنها دفعته إلى أن يواجه مسؤوليات مادية عديدة وهو في المرحلة المبكرة من عمره. لقد وضعت هذه الصدمة وجهاً لوجه مع الحياة في تجاربها العملية الواقعية وكان حتى ذلك الحين لا يرى أحزانها ومشاكلها بطريقة مباشرة، بل كان ينظر إليها من بعيد. فإذا دخل معركة الحياة فإنما كان يدخلها بقلب الشاعر الحساس الذي يرى في حياة مجتمعه وحياة شعبه ما يدعو إلى الإقبال على هذه المعركة والاشتراك فيها. أما الآن فعليه أن يعول أسرته الخاصة وكان متزوجاً في ذلك الحين، وأن يعول إلى جانب ذلك الأسرة الأخرى التي تركها أبوه وراءه وقد كانت هذه المسؤوليات الخاصة سبباً من الأسباب التي لوّنت شعر أبي القاسم باللون الحزين المكتئب. والشاعر نفسه يذكر تأثير الحادثة في شعره، ففي القصيدة له بعنوان "قيود الأحلام" يعدد المشاكل التي تقف في طريقه، تعترض أمانيه التي تركز في رغبته أن يعيش حياة شعرية مليئة بالأحلام والأفكار السامية معاً، ولكنه يعجز عن تحقيق هذا الحلم بسبب الأسرة ومسؤولياتها التي تحرمه من الحياة على الحلم. (النقاش، ١٩٧١، ص ١٤)

يقول:

وأودُّ أن أحيَا بفكرةٍ شاعرٍ  
إلا إذا قَطَعْتُ أُسْبَابِي مع الدِّ  
لكنني لا أستطيعُ، فإنَّ لي  
وصغاراً خوانٍ، يرونَ سلامَهُم  
فقدوا الأبَ الحاني فكنت لِضَعْفِ  
هجمتْ بي الدُّنيا على أهوالِها  
فتحطَّمتْ نَفْسِي على شَطَانِهِ

فأرى الوجودَ يُضيقُ عن أحلامي  
نينا وعشتُ لُوْحَدَتِي وظَلَامِي  
أمَّا، يَصُدُّ حنانُها أوهامي  
في الكائناتِ معلِّقاً بسَلَامِي  
هم كهفناً يَصُدُّ غوائلَ الأيامِ  
وخَضَمَهَا الرَّحْب، العميقَ الطَّامي  
وتأجَّجتْ في جَوِّهِ ألامِي

(الشابي، ١٩٩٥، ص١٤٥)

٢. موت حبيبته: هناك في حياة أبي القاسم الشابي تجربة قاسية كبرى وهي تعلقه بفتاة ماتت وهي تحبه وهو يشناق إلى التمتع بظلمها، وكان من أثر هذه الفاجعة في كيانه أن تفجرت في حناياه بواعث العذاب، وانطوى قلبه على الأسى، واضطرم فكره بمعنى «الموت» وما يواكب هذا المعنى من وحشة وهول وظلام وفراغ واكتئاب من ألفه إلى يائه. يبدو أن هذه الصدمة (موت الفتاة التي أحبها) أساءت أبلغ الإساءة إلى مصيره كله، فاضطر أهله إلى تزويجه في سن مبكرة لينصرف عن أوهامه وتأملاته الحزينة ويسلو آلامه ولكن المشكلة تزداد في نفسه تعقداً، فلم يهنأ بزواجه ولا وفق إلى سلوان عذابه. (شراره، ١٩٦٩، ص٢٠)

في قصيدته «جدول الحب بين الأمس واليوم» يقول:

بِالأمسِ كانتْ حياتُـ  
واليومِ قد أمست كَاءُ  
قد كان لي ما بين أحـ  
يَجري بِهِ مَاءُ المَحَبِّ  
هو جدول قد فَجُرْتُ  
أجفانُ فاتتةٍ تـرا

سي كالسَّماءِ الباسمَةَ  
ملاقِ الكُهُوفِ الواجِمَةَ  
للامي الجميلة جَدُولُ  
ة طَـاهِراً يَتَسَلَسَلُ  
يَبُوعُهُ في مَهَجَّتِي  
ءت لي على فَجِرِ الشُّبابِ

(الشابي، ١٩٩٥، ص١٦٧)

الشاعر كان يقضي الأيام مع محبوبته في غاية السرور ولكن حينما ماتت حبيبته أمات البسمة من شعره والضحكة من ألحانه.

يقول عن حزنه وبكائه:

فأنادي:

يا فؤادي

مَاتَ مَنْ تَهَوَّى! وَهَذَا  
فَأَبْكَ يَا قَلْبُ بِمَا  
اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الحبيب  
فِيكَ مِنَ الحُزْنِ المُذِيبِ  
إِبْكَ يَا قَلْبُ، وَحِيدًا!

(الشابي، ١٩٩٥، ص ٧٨)

نلاحظ شدة حزن شاعر مرهف الحس وشديد العاطفة من فقدان حبيبته وخيبة أمله في حبه.

«المعري كان يهاجم على مناحي الحياة وعلى هذا العالم بكل ما فيه وكان يحاول أن يقضي على الأوهام ويرى الأشياء في ظلال قاتمة من التشاؤم فانه لم يجد في هذه الدنيا طريقاً للأمل، بل كان يرى فيها اليأس والقنوط والشر لا يستطيع أحد أن يقبها لكثرة الكوارث والخطوب المبتوتة فيها» (ضيف، ١٩٧١، ص ١١٤).

٤. استعمار وطنه: هذه هي بعض العوامل التي صنعت كآبة الشابي وتشاؤمه. أما من الجانب الوطني قد وعى الشاعر أن بيئته مريضة يسيطر عليها الجهل والفقر وأتلفت فيه قوى الاستعمار، كل معاني الحرية، وأهدرت الكرامة الشخصية لذلك أطلق صوته فلم تسمعه الأذان وشاهد صوراً من هذا الجور الذي يلمّ بأبناء الحياة الذين يحملون شعلة الرأي الحر ثم بثّ في أنغامه الحزن المرير. (التليسي، ١٩٧٤، ص ٤٠) فيخاطب الظالم ويقول:

أَلَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُسْتَبِدُّ  
سَخَرْتَ بِأَنْتَ شَعْبَ ضَعِيفٍ  
رُؤَيْدِكَ لَا يَخْدَعُكَ الرِّيبُ  
فِي الأفقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلَامِ  
سَيَجْرُفُكَ السَّيْلُ، سَيْلُ الدَّمَاءِ  
حَبِيبُ الظَّلَامِ، عَدُوُّ الحَيَاةِ  
وَكَمْ كُنْتَ مَخْضُوبَةً مِنْ دَمَاهِ  
وَصَحْوُ الفِضَاءِ، وَضَوْءُ الصَّبَاحِ  
وَقِصْفُ الرُّعُودِ، وَعَصْفُ الرِّيَّاحِ  
وَيَأْكُلُكَ العَاصِفُ المُشْتَعِلُ

(الشابي، ١٩٩٥، ص ١٦٠)

إن الشابي يهدد الظالمين الذين قتلوا الشباب وجعلوهم في الأغلال وسلبوا حريتهم، ليفقدوا شخصيتهم ويخبر عن إيقاظ الشعب وانتهاء الظلم والاستبداد.

نلاحظ هذا لشاعر الباكي كيف ينقلب إلى شاعر جبار الغضب عاصف الثورة، إذا خاطب طغاة العالم كما كان متبرماً كثيراً السخط والحنق على شعبه ناقماً أشد النقمة على خمول بيئته واستكانتها إلى الهدوء والكسل حاملاً على هذه التقاليد البالية التي كانت ترسّف في أغلالها البيئّة وهذه النقمة ترجع إلى أن الظروف السياسية والظروف الاجتماعية التي مرّ بها الشبابي أثناء حياته في تونس كانت معقدة إلى غاية المراهرة ففي قصيدته «النّبي المجهول» يخاطب شعبه ويهاجم على مواطنيه، يقول:

فَأهْوَى عَلَى الْجَذُوعِ بِفَأْسِي	أَيُّهَا الشَّعْبُ! لَيْتَنِي كُنْتُ حَطَّاباً
فَأَلْقِي إِلَيْكَ ثَوْرَةَ نَفْسِي!	لَيْتَ لِي قُوَّةُ الْعَوَاصِفِ، يَا شَعْبَ
لَاعِبٌ بِالتُّرَابِ وَاللَّيْلِ مَغْسٍ..!	أَيُّهَا الشَّعْبُ؟ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ

(الشبابي، ١٩٩٥، ص ٩٣)

تصور هذه القصيدة ألام هذا الشاعر من تأخّر شعبه وما يقاسيه من خمول أمته واستسلامها إلى أحضان السبات والكرى ويقسو على شعبه ولكنها قسوة المحبّ المبصرّ.

يبدو لنا أن الشبابي متشائم نسبي وأحياناً شديد في تشاؤمه لأن المتشائم المطلق يرى كل شيء أسود معتم مظلم وينظر بعين متشائمة كالحمة ملؤها الحقد والبغض والكرهية من الوجود وليس عنده فرح ولا سرور ويرى أن الليل سوف يبقى والفقر سوف يستمر والجوع سوف يدوم والهزيمة لا مفر منها والنصر لن يأتي وفتح أبواب اليأس والقنوط فالمتشائم ينظر إلى المستقبل نظرة ملؤها الضبابية وعدم الوضوح وأغلق أبواب الحياة وهو ميت من الأحياء ولكننا نجد في قصائد الشبابي أبياتاً تدل على رجائه بالحياة.

## الخاتمة

أبو القاسم الشابي شاعر متشائم في مرحلة من حياته وفي قسم من ديوانه. لوجود الآراء والعقائد المفعمة بلون الأسود ومحفوفة بالظلمة والألوان القاتمة وأن ما ظهر في أشعاره من التشاؤم أدى إلى أن يتهمه البعض بالتشاؤم المطلق وسوء الظن وأحياناً أن ينسب إليه الإلحاد والكفر لكنه ليس متشائماً مطلقاً ودائماً. في الواقع بأنه شاعر شاب ومرهف الحس وشديد الذكاء ورقيق الإحساس الذي جرحت عاطفته لخيبته في الوصول إلى آماله وطموحاته. وللهوموم العديدة والآلام الجسدية والنفسية التي تحيط به من كل جانب والتضجر من الحياة والدنيا والظروف الصعبة والمشاكل العديدة التي أثرت على حياته الظروف الفكرية التي أحاطت نفسه قاداته أن ينشد بعض القصائد، يتمنى الموت ويطلب السعادة ويجعل سكينه روحه في العدم. ولكن حينما نتصفح ديوانه نجد أبياتاً ليس فيها أثر من التشاؤم بل هي نفس تفاؤل يشير إلى رغبته إلى الحياة والدنيا وعدم تشاؤمه.

## المصادر والمراجع

١. التليسي، خليفة محمد (١٩٧٤). *الشابي وجبران*. بيروت: دار الثقافة.
٢. الحاوي، إيليا (١٩٧٢). *أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت*. بيروت: دار الكتاب اللبنانية.
٣. الخفاجي، محمد عبد المنعم (دون تا). *الأدب العربي الحديث*. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
٤. الشابي، أبو القاسم (١٩٩٥). *ديوان أبي القاسم الشابي*. شرح وتقديم أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية.
٥. شراره، عبداللطيف (١٩٦٩). *الشابي*. بيروت: دار الصادر.
٦. ضيف، شوقي (١٩٧١). *فصول في الشعر والنقد*. القاهرة: دار المعارف.
٧. الفاخوري، حنا (١٩٩١). *الموجز في الأدب العربي وتاريخه*. ط ٢، بيروت: دار الجيل.
٨. فروخ، عمر (١٩٤٧). *حكيم المعرفة*. ط ٢، بيروت: مطبعة الكشاف.
٩. ——— (١٩٧٤). *الشابي شاعر الحب والحياة*. ط ٢، بيروت: دار العلم للملايين.
١٠. كرو، أبو القاسم محمد (١٩٩٤). *الشابي في مرآة معاصريه*. تونس: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
١١. الناعوري، عيسى (١٩٩٦). *أدباء من الشرق والغرب*. بيروت: منشورات عويدات.
١٢. النقاش، رجاء (١٩٧١). *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*. بيروت: دار القلم.
١٣. موقع أطياف وحي القلم (٢٠٠٣). *نظرة شرعية في أدب أبي القاسم الشابي*: <http://www.atiaf.com/vb/atiافت3312.html>
١٤. اليعحي، يحيى بن إبراهيم (٢٠٠٣). *التشاؤم*. طريق الإسلام، [http://www.islamway.com/?iw\\_s=Article&iw\\_a=view&article\\_id=454](http://www.islamway.com/?iw_s=Article&iw_a=view&article_id=454)